# العقل وأهميته في الإسلام
# والصلة بينه وبين الشرع

بقلم

د/ جمال محمد منصور

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

( ٦٦ — حولية كلية أصول الدين )

# تمهيد

إذا أردنا أن نتحدث فى هذا البحث عن دور العقل فى الإسلام فإنه لابد لنا أولا قبل الخوض فى التفاصيل أن نعرف العقل لأن معرفة الشىء تسبق استخدامه والاستفادة منه والحكم على الشىء فرع عن تصوره كما يقول علماء المنطق .

أننا إذا رجعنا إلى كتب المعاجم وجدنا أن هناك ألفاظاً كثيرة للعقل ومشتقاته والمعانى التى ترمز إليها وفيما يلى سنذكر بعضا منها :

١ — أن العقل : الحجر والنهى ضد الحمق وهو التثبت فى الأمور والجمع عقول وورد أيضاً أن العقل هو الحصن والملجأ والقلب والدية التى تؤدى إلى أولياء المقتول تسمى عقلا بالمصدر فقد كان القاتل إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول أى شدها فى عقلها ليسلمها إليهم ويقبضونها منه فسميت الدية عقلا بالمصدر .

٢ — أن العاقل هو الجامع لأمره ورأيه وقيل العاقل هو الذى يحبس نفسه ويردها عن هواها أخذاً من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام .

٣ — المعقول ما تعقله بقلبك والمعقول العقل يقال ماله معقول أى عقل وهو أحد المصادر التى جاءت على مفعول كالميسور و المعسور وعقل الشىء يعقله عقلا أى فهمه .

٤ — تعاقلوا دم فلان عقلوه بينهم ودمه معقله — على قومه غرم

بينهم واعتقل رجله أى جعله بين ركابه وساقه والعقال كسحاب : زكاة عام من الإبل والغنم وفى حديث أبى بكر لو منعونى عقالا — أراد بالعقال الحبل الذى يعقل به البعير وقيل أراد ما يساوى عقالا وقيل صدقة العام .

٥ — والعاقول : موج البحر ومعطف الوادى والنهر وما التبس من الأمور التى لا يهتدى إليها .

٦ — عاقلة الرجل عصبته قال ابن الأثير فى النهاية والعاقلة هى العصبة والأقارب من قبل الأب الذى يعطونه دية قتيل الخطأ وفى الحديث الدية على العاقلة والمعاقل الديات : جمع معقلة وقد سمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط فى المهالك أى يحبسه وقيل سمى بذلك تشبيها بعقل وذلك لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود وأصل العقل مصدره عقلت البعير بالعقل اعقله عقلا ... وعقل الدواء البطن عقلا أيضاً أمسكه .

والمعنى الذى تتوخاه اللغة من مادة [ عقل ] وما تصرف منها يدور حول المنع والكف وحبس النفس عما يسوء ويضر وهذه هى الغاية القصوى للإنسان من دينه أن يصرفه عن الأذى ويصده عن المكروه[1] .

هذا عن تعريف العقل ومشتقاته فى اللغة أى فى معاجم اللغة العربية .

---

(١) أنظر لسان العرب ج ١١ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ، المصباح المنير ج ٢ ص ٣٣ ، النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٨ — ٢٧٩





أما عن تعريف العقل إصطلاحا فيقول عنه أحد الباحثين :

أن العقل قوة خفية مدركة فطرية فى الإنسان خلقها الله فيه ليكون مسئولا عن أعماله على أساس قدرته للإدراك والتمييز بين الحق والباطل ، بين النافع والضار ، بين الخير والشر ، بين الخبيث والطيب والحسن والقبيح سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أو اسم العلم[1] .

وعلى الإنسان بناء على هذا أن يستخدم هذه القوة ويعمل بها كما أرشده ربه سبحانه وإلا كانت عاقبته الخسران فى الدنيا والآخرة .

ولهذا فقد بين الله تبارك وتعالى أن سبب الانحراف والضلال هو عدم العمل بمقتضى هدى العقل السليم فقال تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »[2] ، وقال تعالى : « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »[3] .

ولما كان للعقل هذه المنزلة الجليلة فقد حظى قديماً وحديثاً باهتمام الفلاسفة والعلماء والفقهاء والمفكرين لما له من الأهمية بالنسبة للفرد والمجتمع وفيما يلى سنتحدث عن دوره فى الدين الإسلامى وكيف أن الإسلام أعلى من شأنه .

---

[١] راجع الفكر الإسلامى بين العقل والوحى الدكتور عبد العال سالم مكرم ص ٧

[٢] سورة البقرة آيه ٤٤

[٣] « « « ٧٥

فنقول وبالله التوفيق :

إن من أعظم ما شرف الله به الإنسانية وكرمها به هو العقل ومن هنا جعل الله العقل فى الإنسان ذروة تكريمه يقول الله تعالى فى محكم تنزيله : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[١] .

فعن طريق العقل تتعرف النفس على باريها ومبدعها بالنظر فى مخلوقاته ثم تستدل من نظرها فى المخلوقات على معرفة ما له سبحانه وتعالى من صفات الألوهية والوجود والوحدانية وغيرها من صفات الجلال والكمال فالعقل فضل به الإنسان عن الحيوان وهو أثمن ما وهب الله لعباده ولا يوجد أى كتاب أعلى من شأن العقل وجعله مناط المسئولية الإنسانية مثل القرآن الكريم فإنه ملىء بالآيات التى تحترم العقل الإنسانى وتحض على استعماله وتطلق سراحه والتى من خلالها يستطيع الإنسان أن يصل إلى معرفة ربه عز وجل صانع الوجود ومبدعه ومن هذه الآيات قوله عز وجل : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » وقوله عز من قائل : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »[٢] .

وغيرها كثير من الآيات التى تحض على استعمال العقل والتفكير فى المخلوقات للوصول من خلالها إلى معرفة مبدعها وصانعها وهو الله سبحانه وليس يخفى على من يقرأ القرآن وهو كتاب الاسلام الأول يجد

---

[١] سورة الإسراء الآية ٧٠

[٢] « العنكبوت الآية ٢٠





أن كلمه (عقل) ومشتقاتها وردت تسعاً وأربعين مرة وكلمة « علم » ومشتقاتها المختلفة من كلمة أعلم ويعلمون وعلام وعليم جاءت فى القرآن ثمانمائة وخمس مرات وكلمة الألباب مادة « لب » وردت ست عشرة مرة[١] .

ومن المعلوم أن العقل من أبرز معانى مادة « لب » والمقصود بأولى الألباب أصحاب العقول الناضجة الذين أشاد القرآن بهم وسماهم أولى الألباب فى كثير من نصوصه مثل قوله تعالى : « . . . وما يذكر إلا أولوا الألباب »[٢] وإذا أمعنا النظر فى القرآن تبين لنا أن مزية التنويه بالعقل والتعويل عليه فى أمر العقيدة هى : كما يقول الأستاذ العقاد فى كتابه التفكير فريضة إسلامية [ إحدى المزايا الكثيرة الواضحة فى القرآن الكريم فهو لا يذكر العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ولا تأتى الإشارة إليه عارضة ولا مقتضية فى سياق الآية بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرر فى كل معرض من معارضها الأمر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه ولا يأتى تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص فى مواطن الخلاف ومناسباته فلا ينحصر خطاب العقل فى العقل الواقع

---

(١) أنظر مادة عقل ومادة علم ومادة لب فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٦٩٨ وما بعدها ، ص ٦٤٤

(٢) سورة ابراهيم أو آل عمران الآية رقم

ولا فى العقل المدرك ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح بل يعم الخطاب فى الآيات القرآنية كل مايتسم له الذهن الإنسانى من خاصة أو وظيفة[١] .

وهكذا يبدو لنا بجلاء ووضوح أن القرآن الكريم ارتفع بالعقل واتخذ له منهجاً فريداً يتربى من خلاله على أصول التفكير السليم ليعصمه من الذلل ويحفظه من الزيغ والضلال ويسمو به إلى المستوى الكريم الذى يريه الحق من الباطل فى ظلال الدين المتين وعلى نور من هديه وهداه والعقل بكل هذه المعانى موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل أمر بمعروف وكل نهى عن محظور فنجد فى كثير من آياته أفلا يعقلون ؟ أفلا يتفكرون ؟ أفلا يبصرون أفلا يتدبرون ؟ أليس منكم رجل رشيد ؟ أفلا تتذكرون وغيرها من الآيات التى حثت على استعمال العقل والتفكير ونجد أن هذا العقل من أعماله التى يناط بها التكليف حجته على المكلفين فيما يعنيهم من أمر السماء والأرض ومن أمر أنفسهم ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء[٢] .

وكما يقول أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود إن هذه النصوص السابقة وإن كانت تدل على أن القرآن كتاب هدايه وإعجاز وتعبد فهى تدل أيضاً على أن القرآن كتاب العقل وأنه بأكمله دعوة صارخة لتحرير العقل من عقاله وإنه يدعونا بعبارات مختلفة فى أسلوبها ومتحدة

---

(١) راجع العقاد فى كتابه التفكير فريضة إسلامية ص ٥ ط المكتبة العصرية بيروت .

(٢) راجع العقاد فى كتابه الإنسان فى القرآن ص ١٨ ، ١٩ ط دار الهلال .





فى معناها إلى استعمال العقل ووزن كل شىء بميزانه وإنه يرشدنا الحرية فى أن نعتقد مايرشد إليه عقلنا وأن نتبع السبيل الذى ينير منطقنا أو يهدينا إليه تفكيرنا »[١] .

وبهذا تتأكد نظرة القرآن الكريم للعقل السليم نظرة إجلال وتقدير نظرة تهيب به أن يستعمل كل مايملك من طاقاته فى سبيل الحصول على العلم والمعرفة نظرة تقوم على الحقائق وحدها ونفى الأوهام والظنون وتعتمد على الفكر الذكى والحواس اليقظة فى تقرير أنواع وما كانت البشرية تدرك ذلك لولا القرآن الذى عد الغباء وبلادة الحواس وقلة الوعى هى طريق النار وعلى هذا النسق جاء قوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »[٢] .

ونجد أن المعرفة ميزة أختص الله بها الإنسان دون سائر المخلوقات هذا وقد رسم لنا القرآن الكريم وسائل المعرفة فهى تأتى من عدة طرق.

١ — طريق تلقى العلم عن الأعلام المتخصصين قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[٣] .

٢ — طريق البحث والتجربة الشخصية فى ضوء التفكير العقلى الرشيد فالاستماع إلى العلماء للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم والتفكير

---

(١) الإسلام والعقل للدكتور عبد الحليم محمود ص ١٥ ط دار المعارف

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٩

(٣) سورة النحل من الآية ٤٣

العقلى الرشيد أو هما معا جعلهما العقل وسيلة إلى المعرفة الصحيحة [١].

ولا مانع لدى القرآن من قبول معارف تأتى من الوحى الإلهى بغير سبب معروف لنا ويشهد بذلك قوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله »[٢].

وقوله جل شأنه : « وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما »[٣].

وقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم »[٤].

وقوله تعالى : « آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما »[٥].

وأهم مايمكن أن نستخلصه من هذه النصوص وغيرها أن القرآن الكريم كتاب الله الخالد شامل لكل أنواع المعارف « إما بما ذكر من حقائق الغيب ودروب المعرفة الروحية أو بما ذكر من وسائل المعرفة الإنسانية والحث على استخدامها قال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »[٦].

ونجد أن وسائل المعرفة ثلاث روحية وتجريبية وعقلية ونجد أن القرآن الكريم استخدمها وحث على استخدامها .

قال تعالى : فى حق المعارف الروحية : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به »[٧].

---

(١) إن الدين عند الله الإسلام للأستاذ على عبد العظيم ص ١٥١ ط سلسلة البحوث الإسلامية الكتاب الثامن سنة ١٤٠٢ هـ

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٢

(٣) سورة النساء الآية (٤) سورة الأنفال الآية ٢٩

(٥) سورة الكهف من الآية ٦٥ (٦) سورة الأنعام من الآية ٣٨

(٧) سورة الحديد من الآية ٢٨





وقال تعالى فى حق المعرفة التجريبية « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »[١].

وقال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[٢].

• وقال تعالى فى حق المعارف العقلية[٣] : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها »[٤].

والمستقرىء للقرآن الكريم يجده مليئا بالآيات التى تطالب بإعمال العقل بعد أعمال الحواس والتنفير من إهمالها إذ أنهما السبيل إلى المعرفة الصحيحة .

ونجد أن كتاب الإسلام الأول « القرآن » كتاب يدفع العقل الإنسانى إلى المعرفة دفعاً والدليل على ذلك أن أول ما نزل من القرآن الكريم باتفاق معظم آراء المفسرين هو مطلع سورة العلق « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم »[٥].

فنجد أن هذه الآية السابقة تحض على التفكير العلمى المبنى على احترام العقل واستخدامه باعتباره الوسيلة الأولى التى يتوصل بها الإنسان إلى المعرفة فنجد أن هذا القبس من نور الوحى يشير إلى القراءة فى قوله « إقرأ » والقراءة باب المعرفة وطريق العلم فهو يهيب بالناس جميعاً أن

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٢٠

(٢) سورة فصلت من الآية ٥٣

(٣) الإسلام والطاقات المعطلة للشيخ محمد الغزالى ص ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٤) سورة الحج من الآية ٤٦

(٥) سورة العلق الآيات من ١ : ٥

يحصلوا القراءة عن طريق العلم وبهذا يتأكد أول الحقوق والواجبات وهو المعرفة[١] .

وكان أول ما أقسم الله به فى كتابه القلم كما جاء ذكره فى أول الوحى فى قوله تعالى : « إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » وأقسم به فى قوله تعالى « ن والقلم وما يسطرون »[١] .

وهذه الإشراقة الأولى التى هى أول القرآن نزولا تدعو الرسول الأمى الذى لم يمسك قلما ولم يخط حرفاً إلى القراءة « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون »[٢] .

وهذه الدعوة العلمية ليست مقصورة على الرسول ﷺ وحده بل تتعداه إلى الإنسانية جمعاء فإن الله أكرم الكرماء ومن مظاهر كرمه ونعمه على الإنسان أنه وهبه القلم وعلمه ما لم يكن يعلم وبهذه الدعوة الكريمة تحررت العقول وحطمت ما يكبلها من قيود وأغلال[٣] .

وقد حث الله عباده بقوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب »[٤] .

وهكذا نجد أول صيحة من كتاب رب العالمين « تسمو بقدر القلم وتنوه بقيمة العلم وتعلن الحرب على الأمية الغافلة وتجعل اللبنة الأولى

---

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٦٤ وما بعدها ما هو أول واجب على المكلف .

(١) سورة القلم آية ١

(٢) سورة الزمر : آية ٩

(٣) فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم للأستاذ / على عبد العظيم ص ٤٧ ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٣ م .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٨





فى بناء كل رجل عظيم أن يقرأ أو أن يتعلم »[٥] .

حقاً إن القرآن الكريم يرشدنا إلى المعرفة بأوسع معانيها وأبعد حدودها وينهج نهجاً علمياً واقعياً بعيداً عن النظريات والفروض الظنية التى تختلف فيها العقول وتتعارض فيها الأفهام وهو بهذا ينشد خير البشرية ويجنبها مزالق الأوهام .

ومنهج القرآن العملى يقوم على دعامتين قويتين :

أولاهما : أن تستفيد من تجارب غيرنا سواء كانوا سابقين لنا أم معاصرين بالاستماع إليهم والانتفاع بهم .

وثانيهما : أن نستعمل عقولنا وتجاربنا فى طلب الحقيقة لنهتدى إلى ما لم يهتد إليه غيرنا وعبر عن الدعامة الأولى بالسماع وعن الدعامة الثانية بالعقل قال تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »[١] .

فالمقصود بالقلب هنا العقل والمقصود بالشهيد المميز[٢] .

ومما سبق نستطيع أن نقول :

إن من أجل ما أنعم الله به على الإنسان هو العقل وبدونه يفقد الإنسان إنسانيته ولهذا أعتبر الإسلام العقل الأساس الأول للتكليف فمن القواعد الأساسية فى الشريعة الإسلامية أن العقل مناط التكليف

---

(٥) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى ص ٢٣٦ طبعة دار الكتب الحديثة .

(١) سورة ق آية ٣٧

(٢) فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم : للأستاذ / على عبد العظيم ص ٢٢ ، ٢٣

فى الإنسان وسبب تعلق الأحكام به وارتباط الأوامر والنواهى بشخصه فإن زال العقل عن إنسان مازال هذا التكليف ومضى هذا الإنسان غير مطالب بعقيدة أو عبادة أو فريضة وعلى هذا فإن التكليف يدور مع العقل وجوداً وعدما يوجد العقل فيوجد التكليف وإلا فلا .

وسوف ينصب حديثى فى الصفحات القليلة القادمه عن التكليف والمكلف ولشروط التكليف فنقول : لقد كثرت أقوال العلماء فى تعريف كلمة « التكليف » .

فقد عرفه الراغب الأصفهانى بقوله : هو مايتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذى يتعاطاه سهلا عليه ويصير كلفا به ومحبا له وبهذا النظر يستعمل التكليف فى العبادات (١) .

وقد عرفه الجرجانى بقوله إلزام الكلفة على المخاطب (٢) .

وقال القاضى عبد الجبار قال شيخنا أبو هاشم رحمه الله . التكليف هو إرادة فعل ماعلى المكلف فيه كلفه ومشقة .

وقال القاضى عبد الجبار : من وجب عليه النظر يصح وصفه بأنه كلف ومن حيث أوجب الله تعالى فى عقله ماعليه فيه كلفه فقام ذلك فقام أمره إياه بذلك وجملة هذا الكلام تدل على أن التكليف هو إرادة مافيه كلفه ومشقة والأمر به وهذا ظاهر فى الإستعمال (٣) .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٤٣٩ ط مصطفى الحلبى .

(٢) التعريفات للجرجانى ص ٥٨ ط مصطفى الحلبى .

(٣) راجع المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار جـ ١١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ قسم التكليف تحقيق الأستاذ محمد على النجار والدكتور عبد الحكيم النجار بمطبعة عيسى الحلبى وشركاه .





وإذا استعمل التكليف فى الواحد منا كما يقول القاضى عبد الجبار فإنما يستعمل على طريقة التوسع والمجاز (١) .

والذى نختاره من هذه التعريفات هو ماذهب إليه الراغب الأصفهانى فهو الذى يتفق وتعاليم الإسلام حيث إن التكليف لم يقع فى القرآن إلا منفيا كقوله « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .

ومعنى هذا أن التكليف الذى جاء به الإسلام يشتمل على عنصر الحب وكونه وقع منفيا يعنى أنه لا إكراه فيه ... على أن التكليف سواء أكان أمراً أم إرادة أم إعلاماً فهو فى الواقع وحقيقة الأمر لايحسن إلا بعد إكمال العقل ونصب الأدلة ولهذا كان لابد من العقل والإيمان معاً لتلقى خطاب التكليف أما القول بكفاية العقل وحده لتلقى خطاب التكليف فما أحسن ماقاله العقاد فى هذا الصدد « ونحن إذن فى حل من القول بكفاية العقل وحده لتلقى خطاب التكليف إذ كان المؤمن والفيلسوف معاً يذهبان بالعقل بين نقائض الفروض فلا مستقران على فرض ممكن أو صالح غير إعتماد التكليف على العقل واعتماد العقل على الإيمان ... إلى أن قال والعقل إذا قال بضرورة الإيمان على هذه الصفة وبهذا الحق لم يكن قد ألغى عمله وأبطل وجوده بل هو بذلك يبلغ غاية عمله فهو عقل يزيد عليه إيمان والعقل الذى يزيد عليه الإيمان هو العقل الذى خاطبه القرآن بالتكليف أو هو العقل المؤمن الذى تعنيه النبوه بالتذكير والتبشير وهو المسئول أن يستمع إلى النبى

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٥١٠ نشر وهبه تحقيق د / عبد الكريم عثمان .

المرسل من عالم الغيب فلا معذرة له بعد حجه الغيب والتسليم وبعد حجة الشهادة والتفكير[1] .

هذا هو معنى التكليف فمن هو المكلف الذى يقع عليه هذا التكليف أو الذى يلتزم بهذا التكليف نقول : إن المكلف الذى يلزم التكليف هو العاقل البالغ القادر على ما كلف به فالعقل والبلوغ والقدرة شروط للمسؤلية ويزيد هذا الأمر بيانا وتفصيلا القاضى عبد الجبار فيقول : إعلم أن المكلف هو القادر العالم المدرك الحى المريد لأنه تعالى لا يكلف الفعل إلا القادر على إيجاده العالم بكيفيته المريد لإحداثه على وجه دون وجه ولا يكون القادر قادراً إلا وهو حى ولا يصح أن ينفصل حال الحى من غيره إلا بكونه مدركاً للمدركات عند إرتفاع الموانع وبصحة كونه عالماً قادراً[2] .

ونلاحظ أن القاضى بهذا التعريف يثبت للمكلف أموراً لابد منها وهى أنه لابد من أن يكون المكلف عالماً بما كلف قادراً على أداء ما كلفه الله به حتى يتأتى منه الفعل على وجه الإختيار الناتج عن العلم بأحواله وهذا الإختيار القائم على المعرفة والعلم هو مناط الثواب والعقاب والمسؤلية وهكذا يصبح العقل ضرورة من ضرورات التكليف الإلهى للبشر هذا ويشترط للمكلف لصحة تكليفه شرعاً شرطان .

١ — أن يكون قادراً على فهم دليل التكليف بأن يكون فى استطاعته

(١) راجع العقاد الإنسان فى القرآن ص ٤٤ ، ٤٦ ط دار الهلالى .
(٢) راجع المغنى للقاضى عبد الجبار ج ١١ ص ٣٠٩ .





أن يفهم النصوص القانونية التى يكلف بها من القرآن أو السنة بنفسه أو بالواسطة لأن من لم يستطع فهم دليل التكليف لا يمكنه أن يمتثل ما كلف به ولا يتجه قصده إليه والقدرة على فهم أدلة التكليف إنما تتحقق بالعقل وبكون النصوص التى يكلف بها العقلاء فى متناول عقولهم فهمها لأن العقل هو أداة الفهم والإدراك وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال ولما كان العقل أمراً خفياً لا يدرك بالحس الظاهر ربط الشارع التكليف بأمر ظاهر يدرك بالحس هو مظنة للعقل وهو البلوغ فمن بلغ الحلم من غير أن تظهر عليه أعراض خلل بقواه العقلية فقد توافرت فيه القدرة على أن يكلف[1] .

يقال فلان أهل للنظر على الوقف أى صالح له وأما فى اصطلاح الأصوليين فالأهلية تنقسم إلى قسمين أهلية وجوب وأهلية أداء فأهلية الوجوب هى صلاحية الإنسان لأن تثبت له حقوق وتجب عليه واجبات وهذه الأهلية ثابتة لكل إنسان سواء أكان ذكراً أم أنثى صحيحاً أم مريضا جنينا أم طفلا فهى مبنية على خاصة فطرية فى الإنسان .

وأما أهلية الأداء فهى صلاحية المكلف لأن تعتبر شرعاً أقواله وأفعاله بحيث إذا صدر منه عقد أو تصرف كان معتبراً شرعاً وترتبت عليه أحكامه وإذا صلى أو صام أوحج أو فعل أى واجب كان معتبراً شرعا فأهلية الأداء هى المسؤلية وأساسها فى الإنسان التميز بالعقل[2] .

(١) أن يكون أهلا لما كلف به والأهلية فى اللغة هى الصلاحية .
(٢) انظر هذا النص فى كتاب علم أصول الفقه للأستاذ عبد الوهاب خلاف ص ١٣٤ — ١٣٦ ط مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر

ومن هنا يقول الشيخ أبو زهرة [ فإذا كمل العقل ثبتت أهلية أداء كامله وإذا نقص العقل ثبتت أهلية أداء ناقصة وإذا فقد العقل لم تثبت أهلية أداء مطلقا(١) .

وهكذا يتضح مما سبق أن العقل فى الرسالة الإسلامية هو مناط مجرى الأحكام فإذا غاب العقل أو لم يرشد بعد فلا مؤاخذة ولا تكليف فقد أجمعت الأمة بلا منازع على عدم تكليف الصبيان بفروع الشريعة حتى يبلغوا الحلم كما أجمعوا على رفع التكليف عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وحتى فى حالات السهو والخطأ التى يغفل فيها العقل فعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال « رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق(٢) .

وعن ثوبان عن النبى ﷺ — قال : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (٣) .

ولقد رأينا فيما سبق أن العقل فى الرسالة الإسلامية مناط التكليف ومجرى الأحكام وبه كان الإنسان إنسانا وكان تفضيله وامتيازه على غيره

---

[١] أصول الفقه لأبى زهرة ص ٢٦٤ ط دار العربى بالقاهرة .

[٢] أخرجه ابن ماجه عن عائشة فى كتاب الطلاق باب طلاق المعتوه والصغير والنائم جـ ١ ص ٦٥٨ ط دار الفكر العربى .

[٣] أخرجه فى الجامع الصغير عن ثوبان جـ ٤ ص ٣٤ وقال رواه الطبرانى فى الكبير ورمز له بالضعف وأخرجه ابن ماجه عن أبى ذر و ابن عباس فى كتاب الطلاق إباب طلاق المكره والناس جـ ١ ص ٦٥٩ ط دار الفكر العربى .





وذلك هو أهم أهداف الشريعة الإسلامية إذ من أهم أهدافها تحرير الإنسان من جميع قيود العبودية لغير الله قال تعالى : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله(١) .

ومن أهم أهداف الشريعة الإسلامية تكريم الإنسان ورفع شأنه ومصداق ذلك قوله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »(٢) .

وقد جاء بصدد تفسير هذه الآية للإمام القرطبى « والصحيح الذى يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء(٣) .

وعلى ذلك يمكننا القول بأن العقل والشرع فى الرسالة الإسلامية أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ويصور هذا المعنى حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فيقول : [ أعلم أن العقل لن يهتدى إلا بالشرع والشرع لم يتبين إلا بالعقل فالعقل كالأساس والشرع كالبناء ولم يثبت أساس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس ويقول كذلك

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٩

(٢) « الإسراء آيه ٧٠

(٣) تفسير القرطبى ج ٥ ص ٣٩١٠ ط دار الشعب .

فى موضع آخر « الشرع عقل من الخارج والعقل شرع من الداخل فهما متحدان ولكون الشرع عقلا من الخارج سلب الله تعالى اسم العقل عن الكافر فى غير موضع من القرآن نحو قوله تعالى : « صم بكم عمى فهم لا يعقلون » ، ويكون العقل شرعاً من الداخل قال تعالى فى صفة العقل : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » فسمى العقل دينا ولكونهما متحدين قال تعالى : « نور على نور » أى نور العقل ونور الشرع[١] .

إذن فالعقل والشرع كلاهما من الله تعالى وكلاهما يهدف لهداية البشر ومن هنا فإن العلاقة بينهما علاقة وثيقة والارتباط بينهما ارتباط لزوم ولا تحسبن أن هذه العلاقة قاصرة على أثناء نزول الشريعة وبعد تمامها « وهل يعقل أنه متى نزلت الشريعة وبلغت أهلها أصبح أمرها ناسخاً لأحكام العقل وأومره كما يبطل التيمم بحضور الماء ... كلا إن النور لا ينسخ النور ولكنه إما أن يؤكده ويؤيده وإما أن يغذيه ويرفده وإما أن يكمله ويؤيده وبنور العقل يستطيع الإنسان أن يتلقى عن الرسل شرع الله تعالى وهذه هى وظيفة العقل أن يعقل الشرع لا أن يشرع ويبتدع من تلقاء نفسه لأن المشرع هو الله وحده وعلى هذا أجمعت الأمة سلفها وخلفها فهو حق الله تعالى العلى القدير ومنحة منه لعباده وبه يستطيعون أن يحددوا مسار حياتهم ما يجوز وما لا يجوز وما يحل وما يحرم وما ينفع وما يضر وهذه حقيقة ينبغى أن يعلمها الجميع ألا يشرع للإنسان إلا خالق الإنسان

(١) راجع الغزالى فى كتابه « معارج القدس ص ٥٧ : ٥٨





وقد نص القرآن على ذلك فى غير موضع فقال : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما »[١] ، وقال تعالى : « واتبع ما يوحى إليك من ربك »[٢] « وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »[٣] .

وإذا نظرنا إلى كتاب الإسلام الأول وهو القرآن الكريم نجده قد دعا إلى تحرير العقل ونبذ التقليد وإذا تصفحنا القرآن الكريم نجد فيه آيات كثيرة تنفر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم بدون استعمال العقل ولنستمع إليه وهو ينكر عليهم إغفال عقولهم وإهمال أفكارهم قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »[٤] .

ويقول سبحانه وتعالى : « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون »[٥] .

وقوله عز وجل : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب

(١) سورة النساء الآيه ٦٥
(٢) « الأنعام الآيه ١٠٦
(٣) « الأنفال الآيه ٢٤
(٤) « البقرة الآيه ١٧٠
(٥) « المائدة الآيه ١٠٤

السعير[1] إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التى تقطع بذم مقلدى آبائهم فى عقائدهم الضالة ورفضهم اتباع الحق لا لشىء سوى أنه يخالف ما توارثوه عن آبائهم فى عقائدهم . لهذا كان التقليد فى الدين أمراً له خطورته خصوصاً إذا علمنا أن علماء الأصول قد قرروا [ أن الإيمان التقليدى فى عقائده غير مقبول فلا بد لكل معتقد أن يكون لديه الدليل على كل ما يأخذ به بقدر درجته من العلم[2] .

وبناء عليه فإن من قلد فى الإيمان بالله لا يقبل منه إيمانه ولا تسلم له عقيدته إلا إذا عرف كيف يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يعتقده وعند ذلك يكون إيمانه إيمانا مسترشداً بالعقل والفطرة واليقين وليس إيماناً مبنياً على التقليد والاتباع بل إيمانا منبعثا عن يقين واقتناع .

ومن هنا فإن العلماء قطعوا بأن أصول العقيدة والشريعة لا يجوز التقليد فيها ولا يصح إيمان المقلد فى تلك الأصول فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا يكون صحيحا إلا باعتقاد حازم ولا يقع الاعتقاد الجازم إلا مع إدراك وعلم وكذلك الشأن فيما افترض الله على المسلم من عبادات وما حرم عليه من محرمات .

ومن العلماء الذين ذهبوا إلى بطلان التقليد وفساده القاضى عبد الجبار

---

(١) سورة لقمان آيه ٢١

(٢) انظر الإسلام دين الهداية والإصلاح لمحمد فريد وجدى ص ٣٢ ط مكتبة الكليات الأزهرية .





ابن أحمد الهمدانى إذ يقول : [ ومما يعتمد عليه فى فساد التقليد أن المقلد لا يأمن خطأ من قلده فيما يقدم عليه من الاعتقاد وأن يكون جهلا قبيحاً والإقدام على ما لا يؤمن كونه جهلا قبيحاً بمنزلة الإقدام عليه مع القطع على ذلك[1] .

وخلاصة القول أن التقليد كما يقول الإمام القرطبى ليس طريقاً للعلم ولا موصلا له لا فى الأصول ولا فى الفروع وهو قول جمهور العقلاء والعلماء[2] وذلك لأنه جناية على الفطرة البشرية وسلب لمزية الإنسان فى التمييز بين الحق والباطل وتعطيل للملكات العقلية ومواهبه الفكرية وهو داء قاتل يقتل فى الإنسان آدميته ويقتل فيه روح الإبتكار والتجديد الأمر الذى من شأنه يجعله أقرب إلى عالم الحيوان منه إلى عالم الإنسان من أجل هذا نبذ القرآن الكريم التقليد والمقلدين وشدد النكير على أولئك الذين أغفلوا عقولهم وأهملوا أفكارهم فقال تعالى : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا[3] .

يقول الإمام ابن القيم معلقاً على هذه الآية « وهذا نص فى بطلان التقليد[4] .

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٦٣ نشر وهبه

(٢) تفسير القرطبى حـ ١ ص ٥٩١ ط الشعب

(٣) سورة الأحزاب الآيات من ٦٦ ، ٦٨

(٤) أنظر أعلام الموقعين عن رب العالمين الشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ يتعلق طه عبد الرازق سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية حـ ٢ ض ١٨٩

هذا وقد حمل الإمام محمد عبده على التقليد ودعاته فى غير موضع من كتاباته ففى رسالة التوحيد يقول : [ أنعى ] الإسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يردها عنه القدر فيدت فيالقه المتغلبة على النفوس وأقتعات أصوله الراسخة فى المدارك ونسفت ما كان له من دعائم وأركان فى عقائد الأمم صاح بالعقل صيحة أزعجته من سباته وهبت به من نومة طال عليه الغيب فيها[١] .

مما سبق يتبين لنا أن القرآن الكريم قد ذم التقليد والمقلدين الذين لا يعملون عقولهم ويهملون التفكير العقلى السليم المبنى على الاقتناع وإذا كان قد ذم التقليد فإنه يأمرنا بالاتباع المحمود فى كثير من نصوصه قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه[٢] .

وقال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »[٣] .

وقال تعالى : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون »[٤] وكثير غيرها من الآيات التى تدعو إلى الإتباع المحمود لأن الاتباع قبول القول أو العمل بدليل بخلاف التقليد .

هذا ولقد رسم لنا القرآن الكريم أصول التفكير السليم على النحو التالى :

---

(١) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ص ١٥٩
(٢) سورة التوبة من الآية رقم ١٠
(٣) سورة آل عمران الآية ٣١
(٤) سورة الأنعام الآية





أولا : دعا إلى تحرير العقل من الجمود ورواسب التقليد بمثل قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »[١] .

ثانياً : دعا إلى وجوب التثبت فى العلم بمثل قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »[٢] .

ثالثاً : أقام منهج النظر والإستدلال والتجريب بمثل قوله تعالى : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » الآية[٣] .

وقوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين[٤] .

رابعاً : نهى عن اتباع الظن لأن الظن لا تقوم به حجة بمثل قوله تعالى : « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً »[٥] .

خامساً : طالب بالدليل والبرهان بمثل قوله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »[٦] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠
(٢) سورة الإسراء آية ٣٦
(٣) سورة العنكبوت آية ٢٠
(٤) سورة آل عمران آية ١٣٧
(٥) سورة النجم آية ٢٨
(٦) سورة البقرة من الآية ١١١

وقوله: «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون»[1].

هذه هى الأصول التى رسمها القرآن الكريم للتفكير السليم ويتبين من خلالها أن الإسلام دين يصون العقل ومن أجل هذا حارب الخرافات والأوهام فلقدمها الدين الإسلامى بنصوصه الصريحة وتعاليمه الواضحة كل أثر لعهود الخرافات والأباطيل التى كانت تقيل العقل وتمنعه من الرؤية الصحيحة والتفكير الحق فلا كهنة ولا كهنوت ولا وساطة بين الخالق والمخلوق ولاشىء يمكن أن يحده من حرية الفكر وإنطلاقة الإنسان[2].

صلة العقل بالشرع :

تمهيد :

نقول بداية إن أبرز نقاط الخلاف بين شيوخ الحديث والسنة والمتكلمين بعامة والمعتزلة بخاصة هى صلة العقل فبينما زعم المتكلمون أن بوسعهم استحداث أدلة مستمدة من العقل ومزوجة بمصطلحات الفلاسفة ليستندوا إليها فى الدفاع عن الإسلام يرى أهل الحديث والسنة أن الأدلة الشرعية بذاتها كافية لأنها تتفق مع أحكام العقل وقوانينه.

كما نجد أن هناك أيضا مترادفات فيقال النقل والعقل أو الرواية والدراية السمع والعقل وكان مثار الخلافات الحادثة بين المسلمين أن أهل الكلام ظنوا أن الأدلة الواردة بالوحى لاصلة لها بالعقل ولهذا حاولوا

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨

(٢) انظر الرسالة المقدمة إلى كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة للحصول على درجة الدكتوراة ا د / عبد المعطى بيومى ص ١٠٦





التوفيق بين أدلة الشرع وأدلة العقل ظانين أنهم بهذا المنهج يستطيعون الدفاع عن الإسلام وتقريب أصوله إلى الأذهان.

إذا أردنا أن نعطى نبذة مختصرة عن هذه القضية التى تعتبر جوهر الخلاف بين المتكلمين والمحدثين يلزمنا أن نعرض لبعض المصطلحات التى حددها أحد علماء الحديث ليمكننا التمييز بين مناهج علماء الحديث ومناهج المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وأصحاب الفرق الآخرى.

أولا : الشرع وهو ينقسم إلى قسمين :

[ا] الشرع المنزل ويطلق على ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة وهو الحق الذى ليس لأحد خلافه.

[ب] الشرع المبدل وهو ما يضيفه بعض؟ الناس إلى الشرع إما بالكذب والإفتراء وإما بالتأويل والغلط وهذا شرع مبدل لامنزل ولايجب ولا يجوز إتباعه ويخضع ابن تيميه فى دائرة الشرع المبدل هؤلاء الذين يناقضونه فى خبره فينفون ما أثبته أو يثبتون ما نفاه كأتباع جهم ابن صفوان الذين ينفون ما أثبته من صفات الله تعالى ومشيئته وخلقه وقدرته والقدرية المجبرة الذين ينفون ما أثبته من عدل الله تعالى وحكمته ورحمته ويثبتون ما نفاه من الظلم والعبث والبخل[1].

ثانيا : العقل :

نقول : إن الله عزوجل ذكر العقل فى القرآن الكريم فى كثير من الآيات كما رأينا ذلك فيما مضى كذلك فإننا نجد أنه قد رويت أحاديث كثيرة عن فضل العقل الإنسانى منها ما رواه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) راجع ابن تيمية النبوات ص ٦٣ ، ٦٤

والله لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا بأكثر الناس صلاة ولاصياماً ولا حجا ولااعتماداً ولكنهم عقلوا عن الله مواعظة فوجلت منه قلوبهم وأطمأنت إليه النفوس وخشعت منه الجوارح فذاقوا الخليقة بطيب المنزلة وحسن الدرجة عند الناس فى الدنيا وعند الله فى الآخرة[1]

• ويقول الدكتور دراز أننا نستطيع دراسة القرآن الكريم من زوايا جد مختلفة ولكنها جميعاً يمكن أن تلتقى إلى قطبين أساسيين هما اللغة والفكر فالقرآن كتاب أدبى وعقيدى فى نفس الوقت وبنفس الدرجة[2].

فإذا أتينا إلى أدلة الشرع نجدها عقلية لأنه من غير المتصور وغير المنطق والحقيق أن يأتى الشرع بأدلة مخالفة للقوانين العقلية الفطرية لأنها هى الميزان الذى يزن به الإنسان المعلومات والواردة إليه وهذا ما يقصده شيوخ الإسلام من وصفهم لحقيقة الآيات السمعية والقولية والعقلية.

ومن هنا فإن التنازع الموهوم بين النقل والعقل أوبين الأدلة النقلية والعقلية لا محل له فى تراثنا.

وإن القرآن الكريم كما يقول علماء السلف جاء بالأدلة العقلية على أحسن بيان وأقومه وقد استخلصوا منه الطرق المبنية على البراهين المنطقية التى تخاطب الإنسان أينما كان وحيثما وجد وكلها دل عليها القرآن الذى وصفه الله تعالى بأنه يهدى للتى هى أقوم.

---

(١) راجع ابن تيمية فى بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطه والباطنية ص ٦٠

(٢) راجع مقدمة كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور / محمد عبد الله دراز.





ومن هذه الطرق دلالات الأنفس والآفاق التى يدعو القرآن الكريم للنظر فيها والإعتبار بها والتفكر فى نظمها.

أما الأولى وهى دلالة الأنفس فقد أشار إليها فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: « قتل الإنسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره »[1]، وقال تعالى: « وفى أنفسكم أفلا تبصرون »[2]

وقال تعالى « ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك »[3] وغيرها من الآيات القرآنية.

• وأما دلالة الآفاق فإن القرآن الكريم يحثنا على تدبر مايحدث حولنا فى عالمنا الذى نعيش فيه وما يطرأ من تغييرات تتعاقب فيه فى أوقات محدودة وأزمنة معروفة كطلوع الشمس والقمر والكواكب وغروبها ودوران الافلاك والنجوم والسفن الجاريات فى البحار والرياح وتغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق وإنزال الإمطار فتسقى الزرع وتنبت الأشجار والفواكه والأزهار والثمار وماف اختلاف الليل والنهار والفصول وقد جمع الله تعالى كل ذلك فى قوله تعالى: [ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »[4].

ولقد جمع الله تعالى دلالتى الأنفس والآفاق فى قوله تعالى:

---

(١) سورة عبس الآية ١٧—١٩

(٢) « الذاريات الآية رقم ٢١

(٣) « الإنفطار الآية ١٨

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٤

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[١] وذلك لأننا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين عالمين ناطقين سامعين مبصرين مدركين بعد أن لم نكن شيئاً وإن أول وجودنا كان نطفة قذرة مستوية الأجزاء والطبيعة غاية الإستواء بحيث يمتنع فى عقل كل عاقل أن يكون منها بغير صانع حكيم مايختلف .

• أجناسا وأنواعا وأشخاصا .

أما الأجناس فكمانبه عليه قوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع »[٢] .

• وأما الأنواع ننبه عليها بقوله تعالى :

« ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى »[٣] .

• وأما الأشخاص فنبه عليها بقوله تعالى :

« قتل الإنسان ما أكفره من أى شىء خلقه من نطفه خلقه فقدره ثم السبيل يسره »[٤] .

فهذا هو الفكر المأمور به وهو أى النظر فى هذه الأمور وهى طريقة السلف التى أتبعوها مستندين إلى كتاب الله عزوجل .

---

(١) سورة فصلت الآية ٥٣
(٢) « النور الآية ٤٥
(٣) « القيامه ٣٧ — ٣٩
(٤) « عبس الآية ١٧



# أهم المراجع


١ — القرآن الكريم .

٢ — لسان العرب لابن منظور ] ط دار المعارف .

٣ — التفكير فريضة إسلامية للأستاذ العقاد / ط المكتبة العصرية .

٤ — الإنسان فى القرآن للعقاد / ط دار الهلال .

٥ — الاسلام والعقل وعبد الحليم / ط دار المعارف .

٦ — إن الدين عند الله الإسلام للأستاذ على عبد العظيم / ط سلسلة البحوث الإسلامية للكتاب الثامن ص ١٤٠٢ هـ .

٧ — شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار بن أحمد / نشر وهبه سنة ١٩٦٥م تحقيق د / عبد الكريم عثمان .

٨ — خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى / ط دار الكتب الحديثة .

٩ — المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى/ط دار الكتب الحديثة .

١٠ — التعريفات للجرجانى / ط مصطفى البابى الحلبى .

١١ — المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار تحقيق الأستاذ محمد على النجار أد / عبد الحكيم النجار / ط عيسى الحلبى وشركاه .

١٢ — أصول الفقه للأستاذ عبد الوهاب خلاف / ط مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر .

١٣ — أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة / ط دار الفكر العربى بالقاهرة .

١٤ — تفسير القرطبى / ط دار الشعب .

١٥ — الإسلام دين الهداية والإصلاح لمحمد فريد وجدى / ط / مكتبة الكليات الأزهرية .

١٦ — أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية تعليق عبد الرؤف سعد / ط مكتبة الكليات الأزهرية .

١٧ — فتاوى ابن تيمية تحقيق مخلوف .

١٨ — فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم للأستاذ على عبد العظيم الزرقانى / ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٣م .